مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الأول، ص613- ص628 يناير 2010
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

من قضايا أسماء سور القرآن الكريم

دراسة لغوية وصفية

أ.د. عبد الله أحمد إسماعيل و د. عبد الله عبد الجليل المناعمة
جامعة الأزهر– غزة - فلسطين

ملخص: ينشغل بحثنا بدرس أسماء سور القرآن الكريم ، ويمهد لذلك بالوقوف على ظاهرة العنونة في التراث العربي عبر القرون ، ومن ثم يشرع في تناول جملة من القضايا المتصلة بموضوع البحث، كتعدد أسماء السور ، وتوقيفها، واصطلاحها ، وأسباب تسميتها ، وإعرابها وبنائها ، ثم ينتهي إلى النتائج التي أفرزها البحث.

From the topics of the names of the Koran soras , Descriptive linguistic study

Abstract: Our research concentrates on studying the name of chapters (Suras) in the holy Qur'an for the purpose , it deals with the process of giving titles in the Arab heritage over centuries.consequently, it proceeds in discussing a group of issue which are connected with the topic of the research these include the various names of chapters (Suras), their unchanged ability, their originality, their parsing and their non-vocalization.
Finally, the research comes to the findings which were concluded by the researcher.

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فقد نزل القرآن الكريم ، جديداً في موضوعه، وفي شكله ، ومن جديد شكله أسماء سوره ، فلكل سورة، اسم تعرف به ، وهذا أمر لم نعهده في نثر الجاهلية وشعرها الذي خلا من هذه الظاهرة ، فإننا إذا ما تصفحنا مجاميع الشعر الجاهلي، لا نجد اسماً لكل قصيدة (1)، إلا ما كان من أمر المعلقات التي عرفت بأسماء أصحابها، وما كان كذلك من أمر لامية الشنفرى، ولامية السموأل اللتين شاعتا بين العرب ، فعرفتا لا بأسمائها ، بل بشهرتهما وجماهيريتهما.

والعجيب في الأمر أن الشعر العربي ظلت حاله كذلك ، بعد الإسلام ، قروناً طويلة ، عند المشهورين والمغمورين على حد سواء ، فإذا تصفحنا ديوان المتنبي -مثلاً -الذي ملأ الدنيا ، وشغل الناس لا نجده قد خرج عن سنن الأقدمين في تسميته قصائده ومقطوعاته(2) ، وذلك راجع للبناء التقليدي

للقصيدة العربية الذي يعتمد على تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة ، الذي أفقدها الوحدة الموضوعية في بناء القصيدة ، مما ترتب عليه عدم وضع عناوين أسماء للقصائد الجاهلية وفي عصر صدر الإسلام.

وفي العصر الحديث تابع الكلاسيكيون العرب كالبارودي ، وحافظ ، وشوقي نهج الأقدمين في خلو قصائدهم من أسمائها ، إلا ما كان من شوقي في مسرحياته الست ، ومقطوعاته التي نظمها على لسان الحيوان (3)، فقد وضع اسماً لكل واحدة منها، متأثراً في ذلك بالشعراء والكتاب الفرنسيين.

وبظهور مطران والرومانسيين من بعده ، غدا لكل قصيدة اسم تعرف به على نحو ما نلحظ في أشعار عبد الرحمن شكري ، وأحمد زكي أبي شادي ، و إبراهيم ناجي ، وعلى محمود طه، وأبي القاسم والشابي وإبراهيم طوقان... وكذا في أشعار المهجريين في الشمال والجنوب، وأشعار الكلاسيكيين الجدد، كالرصافي والزهاوي ومحمد عبد المطلب ، ومحمود غنيم ، ومحمود حسن إسماعيل ، وهارون وعلي هاشم رشيد ، فقد جاءت قصائدهم وأناشيدهم ، وحتى دواوينهم موسومة بأسماء على غير ما جرت عليه عادة شعراء العربية منذ الجاهلية حتى أمير الشعراء أحمد شوقي في العصر الحديث (4).

إن هذا يعني ببساطة أن وضع أسماء للقصائد والأناشيد والدواوين في الشعر العربي الحديث والمعاصر ، هو ثمرة من ثمرات التأثر بشعراء الغرب الذين سبقونا طويلاً في هذا الباب(5).

وأكبر الظن أن سحر عمود الشعر ، ربما كان سبباً في عدم وضع أسماء لقصائد الشعر العربي عبر القرون ، فقد التزم شعراؤنا عمود الشعر ، متنقلين في قصائدهم بين الأغراض المختلفة ، التي ربما بدا من الصعب وضعها تحت عنوان جامع للقصيدة الواحدة ، في حين أن الأمر كان أسهل كثيراً عند شعراء الغرب الذين اتسمت قصائدهم بالوحدة الموضوعية منذ زمن _ وإن كانت بعض القصائد العربية قد اتسمت بالوحدة الموضوعية متأثرة بالشعر الغربي _ ، فتيسر لأجل ذلك وضع أسماء لقصائدهم.

أما في مجال النثر العربي القديم ، فقد كان أمره أفضل من الشعر العربي القديم ، فقد ترددت فيه بعض أسماء الموضوعات المتداولة ، علمية كانت أم أدبية ، على نحو ما نرى مثلاً في كتاب سيبويه(6) الذي جعل عنواناً لكل موضوع كقوله :" هذا باب علم ما الكلم من العربية " ج12/1، وقوله:" هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية "ج13/1 ، وقوله :" هذا باب المسند والمسند إليه

"ج13/1 ، وقد يطول العنوان ويكتنفه شئ من الغموض ، كقوله :" هذا باب الفاعل الذي لم يتعده فعله إلى مفعول ، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل ، ولم يتعده فعله إلى مفعول "آخر" والفاعل والمفعول في هذا سواء ، يرتفع المفعول به ، كما يرتفع الفاعل ، لأنك لم تشغل الفعل بغيره ، وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل " ج33/1، وكقوله :" هذا باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليس المفعول " ج44/1... الخ.

وقد تابع المبرد في مقتضبه(7) نهج سيبويه في كتابه ، إذ وضع هو الآخر عناوين تتسم أحياناً بالطول ، كقوله :" هذا تفسير وجوه العربية إعراب الأسماء، و الأفعال " ج3/1 ، وكقوله :" هذا باب ما كان لفظه مقلوباً فحق ذلك أن يكون لفظه جارياً على ما قلب إليه" ج29/1، وقوله :" هذا باب معرفة الأبنية وتقطيعها بالأفاعيل، وكيف تعتبر بها في أصلها وزوائدها " ج69/1، ومن عناوينه القصيرة، قوله :" هذا باب الفاعل " ج8/1 وقوله :" هذا باب حروف العطف بمعانيها " ج10/1، وقوله :" هذا باب اللفظ بالحروف " ج32/1.

وقد امتدت ظاهرة تسمية الأبواب إلى المجالات العلمية و الأدبية الأخرى ، على ما هو الحال في صحيح مسلم (8) الذي جعل صحيحه في كتب ، وجعل لكل كتاب أبواباً ، كقوله :" كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التَّبَرِّي ممن لا يؤمن بالقدر ، وإغلاظ القول في حقه "ج157/1، وكقوله :" باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام " ج1 /177، "وكتاب الطهارة ، باب فضل الطهارة "ج91/2" وباب وجوب الطهارة للصلاة "ج94/2 و" كتاب الصلاة ، باب الأذان "ج291/2.... وعلى شاكلة ذلك أقام مسلم صحيحه.

وقد امتد الأمر من بعده إلى سائر الكتب النثرية، خذ على ذلك مثلاً ، رسائل الجاحظ (9)، وكتاب البيان والتبيين(10) ومقامات بديع الزمان الهمداني(11)، ومقامات الحريري (12)، فقد حملت كل مقامه اسماً خاصاً بها ، ولسنا متيقنين إن كان هذا الاتجاه في وضع أسماء للأعمال النثرية تأثراً بالسور القرآنية في أسمائها أم لا.

أسماء سور القرآن:

أما فيما يتعلق بأسماء سور القرآن الكريم، فقد تناولها المتقدمون في عدة مواضع هي:

أ- الكلام على عدد أسماء السورة الواحدة.

ب– أسماء السور بين التوقيف والاصطلاح.

ت– سبب التسمية.

ث– أصالة أسماء السور ، وتاريخ ثبوتها في المصاحف.

ج– أسماء السور بين الإعراب والبناء.

أما فيما يتعلق بأسماء السور، فقد استوفى المتقدمون هذا الجانب بالدرس المفصل ، وقد أشار الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) إلى هذه المسألة بتفصيل كبير نشير إلى بعضه بقدر من أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،(د.ت). حيث قال :" قد يكون للسورة اسم وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة ، يقال لها : فسطاط القرآن لعظمها وبهائها، وسورة النمل تسمى سورة النعم ، وسورة الجاثية ، وتسمى الشريعة، وسورة محمد – **صلى الله عليه وسلم**- وتسمى القتال، وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة التي تسمى العقود ، والمنقذة، وسورة غافر إذ تسمى كذالك الطول ، والمؤمن، وقد يكون لها أكثر من ذلك ، كسورة براءة إذ تسمى التوبة ، والفاضحة، والحافرة، والعذاب ، والمشقشقة ، والمبعثرة ، والبحوث ، وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً :" الفاتحة ، وأم الكتاب ، وأم القرآن ، والسبع المثاني ، والصلاة ، والحمد ، والشافية و الشفاء ، والكافية، و الأساس.. الخ(13).

وذكر الشيخ طاهر بن عاشور أن " أسماء السور جعلت لها من عهد نزول الوحي، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة و المذاكرة (14).

إن تعدد أسماء السورة الواحدة ليست بدعاً في ثقافتنا العربية قبل الإسلام وبعده، بل هي ظاهرة معروفة في أسماء الله الحسنى ، والنبي **صلي الله عليه وسلم** وجبريل عليه السلام ، والقرآن الكريم ، والسيف، والأسد ، وكثير من المخلوقات ، ثم إن أسماء السور في حد ذاتها تنطوي من خلال مدلولاتها على ثروة ثقافية هائلة ، حسبك أن تمر بذاكرتك على الدلالات العميقة لأسماء ، يونس وهود ويوسف وإبراهيم ونوح ولقمان ومحمد... الخ وكذا دلالات الإسراء وأهل الكهف ، وسبأ...الخ.

أسماء السور بين التوقيف والاصطلاح:

دار نقاش العلماء حول هذه الأسماء ، هل هي توقيفية أم وضعية ؟

يقول الزركشي في البرهان " إن أسماء السور كانت معروفة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ومشهورة ، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أن هذه التسمية كانت متداولة في ذلك العهد ، والظاهر أن وضع هذه الأسماء كان بأمر النبي - **صلي الله عليه وسلم** - وتعليمه" (15)، وقد جزم السيوطي في الإتقان بأنها توقيفية ،فقال: "وقد ثبت أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك"(16).

ويعتقد الباحث أن سور القرآن الكريم كانت تعرف زمن الرسول- **صلي الله عليه وسلم** - ، بأمرين : إما بمطالعها نحو سورة (عم) وسورة { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }، وأما بأسمائها المتداولة في المصاحف و أن هذه الأسماء قد أثرت عن النبي **صلي الله عليه وسلم** ، فهي على ذلك توقيفية(17) ، وكان لابد من انفراد كل سورة باسم مستقل يميزها من غيرها من سور القرآن على كثرتها ، ويميز كل سورة من أخواتها المبدوءة بما يناظرها ، نحو (ألم) ، و(ألر) ، و (حم) ، والمسبحات..الخ.لأجل ذلك كان لابد لكل سورة أن تستقل باسم يميزها من غيرها.

ويظن الباحث أن ما هو توقيفي من أسماء السور يقتصر على ما هو مذكور أعلى كل سورة ، أما ما خلا ذلك فهي أسماء موضوعة أسبغها المفسرون والعلماء على السور التي رأوا أنها تتضمن أموراً عظيمة، تناظر في أهميتها أهمية الاسم الأول للسورة.

سبب تسمية السور:

لقد استفاض الزركشي في ذكر أسباب التسمية ، فقال : " ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خَلْق أو صفة تخصه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى ، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقرينة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها ، وعجيب الحكمة فيها ، وسميت سورة النساء بهذا الاسم ؛ لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى: { وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا } **الأنعام 142** ، إلى قوله:

{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ} **الأنعام 144**، لم يرد في غيرها، كما ورد ذكر النساء في سور أخر ؛ إلا أن ما تكرر وبُسِط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء، وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها، فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلم تختص باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب ، قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا ، وإن قيل : فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها ، وذلك أكثر من تكرير اسم هود ، قيل : لما جُرِّدت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ، وأن تكرر اسمه فيها ؛ أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام"(18).

وهكذا يجد البحث نفسه في سجال شديد أجهد فيه الزركشي نفسه في حشد أسباب التسمية وتعليلاتها ، وهي كما نرى أسباب وتعليلات يحسن السكوت عليها لمن أراد أن يقتنع بها أو أراد أن يطوي هذه المسألة ، مكتفياً ببعض التعليلات ، وإن كان الباحث يظن أنه في غنى تماماً عن الولوج في غمار مسألة أسباب التسمية، ذلك أن الباحث أشار – قبلا- إلى أن الزركشي والسيوطي قالا بتوقيف هذه الأسماء ، فإذا كان الرأي كذلك ، فلم البحث في هذه المسألة ؟ وما فائدة ذلك ؟

وعلى كل حال فإن الباحث يرضى برأي الطاهر بن عاشور في هذا الصدد حين ذهب إلى "أن أسماء السور إما أن تكون بأوصافها، مثل: الفاتحة، وسورة الحمد، وإما أن تكون بالإضافة لشيء اختصت بذكره، نحو: سورة لقمان، وسورة يوسف، وسورة البقرة، وإما بالإضافة لما كان ذكره فيها أوفى، نحو: سورة هود، وسورة إبراهيم، وإما بالإضافة لكلمات تقع في السورة، نحو: سورة براءة، وسورة، حم عسق، وسورة السجدة كما سماها بعض السلف، وسورة فاطر "(19).

إن هذا الرأي على أهميته ، وإن كان يريحنا من التعليلات المجهدة ، غير أنه ينسف مسألة توقيف أسماء السور نسفاً ، فهو يعنى أن أسماء السور لم تؤثر عن الرسول - **صلي الله عليه وسلم** -، بل هي قد تدرجت في مراحل زمنية حتى استقرت على ما هو مألوف في أعلى كل سورة.

أصالة التسمية:

ذكر الباحث في صدر التمهيد أن أسماء سور القرآن الكريم تعد ظاهرة جديدة في الثقافة العربية، لم تعهدها من قبل في شعر الجاهلية ونثرها ، وقد أشار عبد الرحمن حسنين إلى أهمية هذه الظاهرة فقال " دشن القرآن ظاهرة العنونة في الثقافة العربية لأول مره في تاريخها، ومع زيادة الثقافة القرآنية في شبه الجزيرة العربية ، خطت هذه القضية خطوة نوعية في مستوى التعاطي مع العنوان وصلته بالمحتوى كإشارة إلى تماسك المنطق الداخلي الذي يحكمها، والخيط المنهجي الذي يربطها ، فشكلت أسماء السور القرآنية دلالات رمزية لها قدرة محورية في السورة ، و إشارات من طرف خفي إلى حدث جسيم فيها " (20).

ومن مظاهر جدة هذه الظاهرة وأصالتها، أنها قد جاءت جديدة فريدة في نوعية أسمائها، إذ المألوف في أسماء العربية أن تكون إما جامدة أو منقولة(21) على ما هو الحال في مثل: حجر وحبل وشجرة وفضل وحسن وشاكر ومحمود... الخ وقد يكون اسماً منقولاً عن الفعل نحو :تغلب، ويثرب، وينبع، وتدمر، ويزيد، وتماضر، وتأبط شراً، وشاب قرناها... الخ، وقد جاءت أسماء سور القرآن الكريم موافقة لما تسمي العربية في هذين البابين، حيث جاءت الأعلام أعجمية، وعربية في مثل: يونس وهود، ويوسف، وإبراهيم، ومحمد، كما جاءت جامدة في مثل : البقرة، والنساء، ومنقولة في مثل : فاطر، وغافر، والمطففين، ومنقولة عن الفعل في مثل: فصلت، وعبس، غير أن الجديد الفريد في أسماء سور القرآن الكريم، أن منها ما جاء حكاية عن حرف في مثل : ص، وق، أو عن حرفين في مثل: طه، ويس.

وإذا كان الباحث في صدد الكلام على أصالة أسماء السور القرآنية، فلا بد من الإشارة إلى مدى صلتها بما ورد في الكتب المقدسة من أسماء، يقول عبد الرحمن حسين: "ولم تخل الكتب المقدسة من الاهتمام بقضية عناوين فصولها ، ودلالات عناوين أسفار العهد القديم تشكل معالم كلاسيكية هذا الفن، فسفر التكوين يدل على قصة الخلق بمعانيها الدينية ، وسفر الخروج يشير إلى حدث تاريخي ، وسفر استر يختصر معاناة اليهود ، أما الأناجيل فقد اختصرت هذا الفن في أسماء كتاب أسفار العهد الجديد يوحنَّا ، ومتَّى " (22).

نفهم مما تقدم أن أهل الكتاب قد سبقونا في ميدان العنونة و الأسماء على نحو ما ذكرنا آنفاً، فهل ثمة من صلة بين أسماء سور القرآن الكريم، و أسماء أسفار العهد القديم ؟علماً أن الكتابين من عند

الله سبحانه وتعالى ، ومع قولنا بتوقيف أسماء السور، وافتراض أن أسماء أسفار العهد القديم كذلك ، مع استبعادنا أن يكون التحريف قد طال هذه الأسماء.

إن القرآن قد ذكر كثيراً جداً من الأخبار والأقوال التي وردت في العهد القديم، وربما بدا التشابه في الروايتين يصل إلى درجة التطابق الحرفي على نحو ما نرى في قوله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ} **طه 12**، فقد ورد هذا النص حرفياً تقريباً في العهد القديم في قوله: "اخلع حذاءك" (23)، وقس على ذلك كثيراً من الأخبار و الأقوال ، غير أن الباحث يظن أن ليس من صلة تأثير أو تأثر بين أسماء الأسفار وأسماء السور ، مع علمنا أن التوراة قد نزلت على موسى -عليه السلام - قبل أكثر من ألف عام من نزول القرآن الكريم على محمد - **صلي الله عليه وسلم** –.

وفي قناعتنا أن الحاجة قد فرضت الأسماء في الكتابين ، ذلك أن أسفار الكتاب القديم، لما تعددت احتيج إلى أسماء تميز الأسفار(24) بعضها عن بعض وكذلك شأن القرآن الكريم، حيث كثرت سوره عدداً ، فلزم لأجل ذلك أن تختص كل سورة باسم يميزها من غيرها.

ويبقى للباحث في ختام كلامه على مسألة أصالة أسماء السور وجدتها، أن يشير إلى أن أسماء السور قد كتبت في المصاحف زمن التابعين -رضوان الله عليهم -، فقد جاء في شرح البرهان للزركشي ، عن القاضي أبي بكر الباقلاني أن : أسماء السور كتبت في المصاحف بخط آخر لِتُمَيَّز من القرآن ، وأن البسملة كتبت في أوائل السور بخط يماثل الخط الذي كتب به القرآن الكريم(25).

أسماء السور بين الإعراب والبناء:

نقل السيوطي عن بعض من سبقه من العلماء؛ أنهم يقصدون بأسماء السور بداياتها، لا أسماءها الموسومة أعلاها، وأشار في هذا الصدد إلى أن:" ما سمي منها بجملة تحكى { قُلْ أُوْحِيَ }، و{أَتَى أَمْرُ اللهِ}، أو بفعل لا ضمير فيه، أعرب إعراب ما لا ينصرف، إلا ما في أوله همزة وصل، فتقطع ألفه وتقلب تاؤه هاء في الوقف، ويكتب بهاء على صورة الوقف، فتقول: قرأتُ " اقتربة "، وفي الوقف " اقتربه "، أما الإعراب؛ فلأنها صارت أسماء، والأسماء معربة إلا لموجب بناء، وأما قطع همزة الوصل؛ فلأنها لا تكون في الأسماء إلا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها، وأما قلب تائها هاء؛ فلأن ذلك حكم تاء التأنيث التي في الأسماء، وأما كتبها هاءً؛ فلأن الخط تابع للوقف غالباً" (26).

ويضيف قائلاً: " وما سمي منها باسم، فإن كان من حروف الهجاء وهو حرف واحد، وأضفت إليه سورة، فعند ابن عصفور: أنه موقوف لا إعراب فيه، وعند الشلوبين يجوز فيه وجهان: الوقف،

والإعراب، وأما الأول: ويعبر عنه بالحكاية؛ فلأنها حروف مقطعة تحكى كما هي، وأما الثاني: فعلى جعله اسماً لحروف الهجاء، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكير الحرف، ومنعه بناء على تأنيثه، وإن لم تضف إليه سورة لا لفظاً ولا تقديرا، فلك الوقف والإعراب مصروفاً وممنوعاً. وإن كان أكثر من حرف؛ فإن وزان الأسماء الأعجمية كـ {طَاسين}، و{حَاميم} ، وأضفت إليه سورة أم لا ، فلك الحكاية، والإعراب ممنوعُ لموازنة قابيل وهابيل، وإن لم يوازن، فإن أمكن فيه التركيب ك"طسم" ، وأضفت إليه سورة ، فلك الحكاية والإعراب إما مركباً مفتوح النون ؛ كحضرموت، أو معرب النون مضافاً لما بعده مصروفاً، وممنوعاً على اعتقاد التذكير والتأنيث ، وإن لم تضف إليه سورة ، فالوقف على الحكاية والبناء : كخمسة عشر ، والإعراب ممنوعاً، وإن لم يكن التركيب فالوقف ليس إلا:أضفت إليه سورة أم لا نحو، { كَهَيعَص }، و{ حَم عَسق }، ولا يجوز إعرابه؛ لأنه لا نظير له في الأسماء المعربة ، ولا تركيبه مزجاً؛ لأنه لا يركب ذلك أسماء كثيرة ، وجوز يونس إعرابه ممنوعاً من الصرف"(27).

ويستطرد قائلاً: "وما سمي منها باسم غير حرف هجاء ، فإن كان فيه اللام انجر، نحو :الأنفال، والأعراف، والأنعام، وإلا منع الصرف إن لم يضف إليه سورة، نحو: هذه هود، ونوح، وقرأت هوداً ونوحاً، وإن أضفت بقي على ما كان عليه قبل ، فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنع، نحو: قرأت سورة يونس ، وإلا صرف نحو سورة نوحٍ وسورة هودٍ" (28).

وهكذا نرى أن معالجة القدماء لهذا الباب يشوبها قدر كبير من البلبلة والغموض، إننا نرى أن أسماء السور المرصودة أعلى كل سورة قد جاءت على النحو التالي:

أ– اسمان ليسا من صلب النص القرآني، وهما الفاتحة والإخلاص.

ب– أسماء جاءت على مصدر الفعل المذكور في صدر السورة، مثل: الإسراء، والتكوير، والانفطار، والانشقاق.

ت– أسماء جاءت في السور نكرة ، لكنها عرفت بأل في العنوان ، مثل البقرة ، والمائدة ، والجاثية.

ولنا في أسماء هذه الأقسام الثلاثة أن نعربها مضافاً إليه إذا كانت مسبوقة بكلمة سورة ، وأن نعربها حسب موقعها من الإعراب إذا حذف مضافها ، فلنا أن نقول:

سورة الفاتحة أول سورة في المصحف الشريف.

أو الفاتحة خامسة سورة مكية.

وسورة البقرة أول سورة نزلت بالمدينة.

أو البقرة أول سورة نزلت بالمدينة (29).

ت- أسماء جاءت مطابقة حرفياً لورودها في النص القرآني ، وهذا هو القسم الغالب الأعم ، وهو ينقسم بدوره إلى أسماء على صورة الحروف ، مثل : ص ، وق، وطه، ويس ، وأسماء على صورة الأفعال ، مثل : فصلت ، وعبس ، والقسم الأخير،وهو الكثير الغالب في أسماء عادية ، مثل ، آل عمران ، والنساء ، والأعراف، والأنفال ، ويونس ، وهود ، وإبراهيم ، والرعد ، والماعون....الخ.

والصواب في رأينا أن : أسماء هذا القسم كافة مبنية على الحكاية في محل جر مضاف إليه إذا سبقت بالمضاف ، وهو كلمة سورة ، نحو قولنا : سورة الأنفال مدنية، وحق هذه الأسماء أنها إذا جردت من الإضافة أن تبقى على ما كانت عليه من البناء على الحكاية ، لكن العادة جرت على إعرابها حسب موقعها في الجملة ، كأن نقول:

الأنفالُ من السور المدنية.

وإن الأنفالَ من السور المدنية.

إن الباحث على سلامة رأيه- فيما يعتقد - ببناء أسماء هذا القسم على الحكاية، فإن الباحث طلباً للتيسير، وطرداً للباب على وتيرة واحدة، يجيز إعراب أسماء هذا القسم مضافاً إليه بعد كلمة سورة، كأن تقول:

سورةُ المطففين آخر ما نزل بمكة من سور القرآن الكريم.

أوالمطففون آخر ما نزل بمكة من سور القرآن الكريم.

لكن هذا الرأي لا ينصرف إطلاقاً على الأسماء ذوات الحرف أو الحرفين، نحو: (ص)، و(ق)،و(طه)، و(يس)، ولا الأسماء التي على صورة الفعل، نحو: (فصلت)، و(عبس)، ولا الأسماء التي لازمت البناء على الحكاية، نحو: (المؤمنون)، و(المنافقون)، و(الكافرون)، فهذه الأسماء مبنية على الحكاية في جميع مواقعها الأعرابية ، مثل :

- هذه سورة (ق)، و(ص)، و(طه)، و(يس)، و(فصلت)، و(المؤمنون)، و(المنافقون(30).
- قرأت (المؤمنون)، و(الكافرون)، و(المنافقون)، و(ص)، و (31).
- (فصلت) (ق)، و(ص)، و(عبس)، و(المؤمنون)، و(المنافقون) سور مكية (32).

نتائج البحث:

إلى هنا ينتهي بنا البحث على صغر حجمه إلى عدد وافر من النتائج وهي:

1- إن أسماء السور القرآنية ظاهرة جديدة في الفكر العربي ، لم نعهدها في الأدب الجاهلي شعراً ونثراً.

2- إن هذه الظاهرة، رغم أهميتها، لم تجد طريقها إلى الشعر العربي القديم، وحتى إلى شطر عظيم من الشعر الحديث.

3- إننا نظن أن عمود الشعر الذي قام عليه بناء القصيدة العربية ، في تعدد أغراضها، ربما كان سبباً في عدم وضع عناوين للقصيدة العربية القديمة.

4- إن الشعر العربي المعاصر ، قد تزينت قصائده وأناشيده ودواوينه بعناوين تأثراً بشعراء الغرب ، لا بالقرآن الكريم.

5- إن النثر العربي القديم عِلْمَاً وأدباً، كان أحسن حالاً من الشعر العربي القديم في مسألة العنوان، إذ وضع عناوين لموضوعاته، لكن بعضها ربما طال وشابه قدر من الغموض.

6- إن تعدد أسماء السورة الواحدة، ظاهرة لغوية تعرفها العربية قبل الإسلام وبعده؛ في مثل أسماء الله تعالى، و أسماء بعض المخلوقات، وأن أسماء السور في ذاتها تعد كنزاً ثقافياً هائلاً.

7- إن أسماء السور المرصودة في المصحف هي توقيفية، أما ما خلا ذلك فهي من وضع العلماء.

8- إن قولنا بتوقيفية أسماء السور، لا يقلل من أهمية البحث في أسباب تسميتها.

9- إن أسماء السور في الثقافة العربية ظاهرة أصيلة، لا صلة لها البتة بما ورد في التوراة من أسماء الأسفار.

10- إن أسماء السور تنقسم إلى معرب؛ جاء لفظه غير مطابق لما ورد في النص القرآني ، ومبني على الحكاية طابق لفظه حرفياً ما ورد في النص القرآني ، لكننا من باب التيسير نقيد المبني بما ورد على صورة الحرف أو الحرفين أو الفعل، و ما ورد – كذلك – من الأسماء على صورة وروده في النص مثل :المؤمنون ، والمنافقون ، والكافرون.

هوامش البحث:

1- انظر على سبيل المثال : مختار الشعر الجاهلي : يوسف العلم الشنتمري ، دار الفكر ، ط1 ، 1969، والأصمعيات : تأليف: عبد الملك بن قريب الأصمعي، ترجمة وتحقيق : عمر فاروق الطباع ، مكتبة دار الأرقم ، 1999 ،والمفضليات : تأليف : المفضل الضبي ، تحقيق : قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال، ط1،2004، وشرح المعلقات السبع : تأليف : أبي عبد الله الحسين الزوزني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلاع ، القاهرة (د.ت).

2- انظر على سبيل المثال: ديوان المتنبي : شرح أبي البقاء العكبري ، تحقيق الأساتذة : مصطفى السقا ، وآخرون، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، (د.ت).

3- ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) ، المؤلف : أحمد شوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2001.

4 - انظر دواوين : خليل مطران ، وإبراهيم طوقان ، والشابي، والتيجاني، ودواوين شعراء المهجر في الشمال والجنوب ، ودواوين الكلاسيكيين العرب الجدد كالرصافي، والزهاوي ، ومحمود غنيم ، ومحمود حسن إسماعيل، وهاشم الرفاعي.

5 - إذا تأملت أعمال الشعراء الإنجليز مثلاً: تجد أنهم قد وضعوا لقصائدهم أسماء منذ زمن بعيد.

6 - الكتاب : كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1408هـ ، 1988.

7- المقتضب : لأبي العباس بن يزيد المبرد ،/ تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت)

8 - صحيح مسلم بشرح النووي ، راجع ضبطه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : محمد محمد تامر ، دار الفجر ، القاهرة ، ط1 ، 1420 هـ 1999م.

9- انظر: مجموع رسائل الجاحظ ، حقق نصوصه ، وقدم لها وعلق عليها، د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1983.

10- انظر: البيان والتبيين : الجاحظ حققه وقدم له : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، (د. ت).

11- انظر : مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني : شرحها ووقف على طبعها : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة الأزهرية ، (د.ت).

12- مقامات الحريري ،تأليف: القاسم بن علي بن محمد عثمان الحريري البصري، تحقيق: ناهدة عبد الفتاح النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1979.

13- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت- لبنان ،(د.ت)،ج269/1 - 270 بتصرف.

وانظر كذلك: الإتقان في علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث ، القاهرة، 1425هـ - 2004م ، ج173/1 فما بعدها.

14- تفسير التحرير والتنوير: تأليف: محمد الطاهر عاشور ،الدار التونسية للنشر والتوزيع ، 1984م،ص : 23.

15- البرهان في علوم القرآن:ج271/1

16- الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي، ج173/1.

17- ربما لا نجد أنفسنا في حاجة إلى الاستفاضة في النقاش حول مسألة توقيف أسماء السور ، ذلك أن شطراً غير قليل من علمائنا قديما وحديثا يقولون بأن الأسماء كل الأسماء توقيفية استناداً إلى قوله تعالى :" وعلم آدم الأسماء كلها " البقرة الآية ، ننظر في هذا الشأن : الصاحبي في فقه اللغة العربية، ومسائلها، وسنن العرب في كلامها ، تأليف : أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ترجمة : أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2007 ، والخصائص : تأليف : أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار، عالم الكتب ، بيروت، (د.ت)، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1989.

18- البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، ج1 : 270-271. وانظر : الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي، ج182/1.

19- يذهب الطاهر بن عاشور إلى أن " أصل أسماء السور أن تكون بالوصف ، كقولهم: السورة التي يذكر فيها كذا ، ثم شاع فحذفوا الموصوف وعوضوا عنه الإضافة ، فقالوا : سورة "ذكر البقرة" مثلاً ، ثم حذفوا المضاف و أقاموا المضاف إليه مقامه ، فقالوا: سورة البقرة ، أو أنهم لم

يقدروا مضافاً وأضافوا السورة كما يذكر فيها لأدنى ملابسة " تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور : ص: 35.

20– العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم ، بقلم : عبد الرحمن حسين ، صحيفة الحياة 22-9-2007.

21- انظر: مبحث العلم في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تأليف بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري، تحقيق : طه محمد الزيني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ،1389هـ - 1969م ، وانظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،(د.ت).

22- العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم ، بقلم : عبد الرحمن حسين ، صحيفة الحياة 22-9-2007.

23- الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، ص: 90.

24- بلغ عدد أسفار العهد القديم تسعة وثلاثين سفراً، في حين بلغت أعداد العهد الجديد سبعة وعشرين سفراً.

25- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج275/1

26 - الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي، ج183/1-184

27- المرجع السابق، ج184/1.

28- المرجع السابق، ج1/ 184.

29- يضيق بعض العلماء، بأن نقول مثلاً: البقرة، والفيل، والعنكبوت، بل الصواب أن نقول: سورة البقرة، سورة الفيل...الخ، وهذا في رأينا أفضل.

30- ق: اسم مبني على الحكاية في محل جر مضاف إليه، وما بعدها مبني على الحكاية في محل جر بالتبعية.

31 – المؤمنون: اسم مبني على الحكاية في محل نصب مفعول به، وما بعدها مبني على الحكاية في محل نصب بالتبعية.

32- فصلت: اسم مبني على الحكاية في محل رفع مبتدأ، وما بعدها مبني على الحكاية في محل رفع بالتبعية.

مراجع البحث:

1– أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تأليف: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،(د.ت).

2- الإتقان في علوم القرآن : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث ، القاهرة، 1425هـ- 2004م.

3- الأصمعيات: تأليف : عبد الملك بن قريب الأصمعي، ترجمة وتحقيق : عمر فاروق الطباع ، مكتبة دار الأرقم ، 1999.

4- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت- لبنان ،(د.ت).

5- البيان والتبيين : الجاحظ حققه وقدم له : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب، (د. ت).

6- الخصائص: تأليف: أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

7- الصاحبي في فقه اللغة العربية، ومسائلها، وسنن العرب في كلامها ، تأليف : أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ترجمة : أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت ،2007.

8- العنونة وأسماء السور في القرآن الكريم، بقلم: عبد الرحمن حسين، صحيفة الحياة 22-9-2007.

9 - الكتاب: كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1408هـ ، 1988.

10- الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، (د.ت).

11- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1989.

12- المفضليات: : تأليف : المفضل الضبي ، تحقيق : قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال، ط1،2004.

13- المقتضب: لأبي العباس بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت).

14- تفسير التحرير والتنوير: تأليف: محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م.

15- ديوان أحمد شوقي: (الشوقيات) ، المؤلف: أحمد شوقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2001.

16- ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري ، تحقيق الأساتذة : مصطفى السقا ، وآخرون، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، (د.ت).

17- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تأليف بهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري، تحقيق : طه محمد الزيني، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ،1389هـ - 1969م

18- شرح المعلقات السبع: تأليف : أبي عبد الله الحسين الزوزني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلاع ، القاهرة (د.ت).

19- صحيح مسلم بشرح النووي ، راجع ضبطه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه : محمد محمد تامر، دار الفجر ، القاهرة ، ط1 ، 1420هـ 1999م.

20- مجموع رسائل الجاحظ، حقق نصوصه، وقدم لها وعلق عليها: د. محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1983.

21- مختار الشعر الجاهلي: يوسف العلم الشنتمري ، دار الفكر ، ط1 ، 1969،

22- مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني : شرحها ووقف على طبعها : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة الأزهرية ، (د.ت).

23- مقامات الحريري ،تأليف: القاسم بن علي بن محمد عثمان الحريري البصري، تحقيق: ناهدة عبد الفتاح النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، 1979.